

SELECTION II

الأدب للشعب

- (١) هناك مكلمات تجري على ألسنتنا أو أفلامنا تحمل دلالات جديدة لم تكن نعرفها الأمم القديمة مثل الشعب ، الحرية ، المساواة ، الشخصية ، الديمقراطية ، حتى الانتخاب ، التعليم الجباني الخ.
- (٢) ودلالة هذه الكلمات أن « الشعب » قد بُرِزَ إلى الوجود السياسي والاجتماعي .
- (٣) فقد كان الحكم في الأمم القديمة تنوأً طبقة صغيرة حول الملك أو الإمبراطور .
- (٤) وكان التراث مقصورةً أيضاً على طبقة صغيرة . (٥) وكان الشأن كذلك في التعليم والثقافة .
- (٦) ومن هنا أيضاً اقتصار الأدب القديم على طبقة خاصة ، ثم اشتغال الأدب بشئون هذه الطبقة دون الشعب . (٧) لذلك نحن نقرأ كتب الأدب العربي القديم ، فلا نجد أية عنابة بالصانع أو التاجر أو المزارع او المرأة ، لأن كل هؤلاء كانوا أميين لم يتعلموا . (٨) ولذلك نجد أن المؤلفين كانوا يعنون بقصص الملوك والأمراء ، وبما يجب عليهم من الواجبات السياسية للرعيَّة . (٩) كما نجد آلاف النصائح والوصايا والحكم من الملك سليمان إلى أردشير إلى الاسكتندر إلى معاویة ، وجميعها في شأن الحكم وال الحرب والولاية والجود والعفو . (١٠) وهذه كلتها وأمثالها شئون كانت تهم بها طبقة صغيرة حاكمة .
- (١١) أما الشعب ، الباعة والتجار والمزارعون والخدم والبشارون والنجارون ، كل هؤلاء لم يكونوا قد ارتفعوا بعد إلى وجود الأدباء فلم يحسن هؤلاء بهم .
- (١٢) ولذلك أيضاً نجد أن الأدباء القدماء كانوا يكتبون لأدباء مثلهم . (١٣) ثم كانت تكون مناقشة ما يكتبون في مجالس الأمراء والملوك وأئمَّة الدين ، لأن أئمَّة الدين كانوا من الحاكمين والولاة ، وكانت الحكومات كلها دينية .
- (١٤) ولذلك نجد أيضاً أن الأدب القديم كان على الدوام أسلوبياً تقليدياً ولم يك فقط ابتكارياً مستقبلياً . (١٥) وعبارة « قال فلان » ثم عبارة « السلف الصالح » كلتاها تدل على أن الأدب العربي القديم كان ينشد الحكمة خلفه وليس أمامه . (١٦) وكان ما يكتبه للخاصة ، بل أخصّ الخاصة التي تعلمت منه ودرست ثقافته وتزعمت نزعته .
- (١٧) وأخصّ الخاصة هذه كانت تلتفت إلى الماضي ، لأن حقوقها التاريخية كانت تستند إلى هذا الماضي وإلى احترام عاداته واعنته . (١٨) فجذبت إليها الأدباء الذين يرويُّون سلطانها .

SELECTION II

(١٩) وعندما نقرأ «البيان والتبيين» للجاحظ ، أو أشعار المنبهي أو «الكامل» للعبّرد ، نحسّ أننا إزاء أدباء ، إماً يعيشون في بلاط أحد الأمراء ، وإنما يستندون في حياتهم الذهنية إلى تعاليد لغوية وأدبية ودينية وسياسية تمت إلى بلاط أحد الأمراء . (٢٠) أمّا الشعب فلا يحسّون أيّ وجود له .

(٢١) ولكنّ هذا القول لا يمكن أن يذهب على إطلاقه . (٢٢) ففي فترات من تاريخ الأمم العربية انتشرت التجارة، بل انتشر شيء من الصناعة ، وخاصة في مصر والعراق . (٢٣) فظهور كتاب «ألف ليلة وليلة» وهو كتاب للشعب يكبر من شأن التجار «الستندياد» ويزوّد قراءه الفقراء بأحلام الجائع أمّي وصف حياة الأمراء والملوك والأمراء . (٢٤) ولكنّ هذه الترفة لم ترقى إلى الضجّ لأنّ عوامل الثورة لم تتوفر للشعب .

(٢٥) ولكنّ الشعوب العربية في أيامنا عرفت أعظم كلمة من كلمات القرن العشرين — كلمة «الديمقراطية» . (٢٦) ومع أنّ بعض الساسة في مصر قد عبّروا بها فإنّ عبّ THEM سيدّه هباءً وعُمّكث هي في الأرض .

(٢٧) الديمقراطية ، الشعب ، المساواة ، التعليم العام — كلمات ميمونة . (٢٨) وبسبب هذه الكلمات الميمونة عاد التجار إلى الظهور وأوشكنا أن نعرف مقام الصناعة وظهرت الصحف فأخصبّت حياة الشعب . (٢٩) وصار التجار والبقاء والتلميذ ، بل أحياناً المزارع — هذا الرجعيّ العربي في رجعيته — أصبح كلّ هؤلاء يقرأون وتنفسُ أحشائِهم في آفاق رحبة من السياسة والأدب والمجتمع . (٣٠) وزوّدتهم الصحف بكلّ ذلك ولكن على مستوى منخفض . (٣١) وتعلّم الصحفيون لغة جديدة يكتبون بها ليست هي لغة أردشير «الذي أوصى ابنه فقال ... وإنّها هي لغة الشعب .

(٣٢) يقول الفرنسيّون ، ويحسّون عندما يقولون ، «ما ليس واضحًا ليس فرنسيّاً» لأنّ الوضوح هو المنطق . (٣٣) والكاتب الواضح هو الكاتب الفاهم ، وعندما يفهم الكاتب يفهم القاريء ، وعندئذ يكون التجاوب ويكون الانخمار الذهني .

(٣٤) كان فولتير يقول عن نفسه كلمة أحبّ أن أقولها عن نفسي وأفخر بها . «لست عمّينا ولكلّي على الدوام واضح» .

(٣٥) لغة الشعب ، لغة الصحافة ، يجب أن تكون لغة الوضوح . (٣٦) علينا نحن الكتاب أن نهدف إلى بلاغة شعبية جديدة ، فتنزل إلى الشعب قبل أن نرفعه إليها . (٣٧) بل إنّا لن نستطيع أن نرفعه إليها إلا إذا نزلنا إليها . (٣٨) ويجب أن نهدم الحاجز الذي يفصل بين الشعب والأدب باتخاذ الأسلوب الميسّر والكلمة المألولة . (٣٩) ويجب

SELECTION II

أن نتأيّد به عن أردشير ونعدّنه عن أبيشتبن وعن إلغاء الفقر والجهل والمرض . وعن حقّ الشّباب في السعادة وحقّ المرأة في الإنسانية .

(٤٠) يجب أن نؤلّف المقالة والقصيدة والكتاب للشعب وتعرض على شبابنا الآداب والفنون التي تخصّب حياتهم وترفعهم من الاتهامات الشخصية الوضيعة إلى المشكلات الاجتماعيّة والبشرية حتى يحيوا الحياة التاريخيّة وحتى يحسّ كلّ منهم أنه بطل له رسالة وله شرف .

(٤١) رسالة وشرف . أيّ شيء في الدنيا أعظم من هذا ؟

سلامه وموسى — الأدب للشعب ، (القاهرة . ١٩٥٦) ص ٣٠-٢٦ .

NOTES

(١) هناك كلمات “there are words.”

الآخر على ألسنتنا : “current on our tongues.”

الـ“etc.” : an abbreviation of

كانت طبقة تتولى الحكم... تتولاً طبقة (٣) : a transposition from This changing of a would-be object to a subject is done to emphasize it in the mind of the reader.

(٦) من هنا ... : an idiom meaning “from this (comes).”

(٨) مني (‘uniya) “to be concerned.”

(٩) سليمان : Solomon.

أردشير : Ardashir — a name given to three of the Sāsānid kings.

الاسكدر : Alexander.

معاوية : Mu‘awiyah — first Ummayyad caliph.

(١١) فلم يحس ... هؤلاء : as for the people, these (writers) did not feel (their existence).” When the subject is introduced by أمّا ، the predicate must be introduced by ذ... : they had not risen yet.” Here the word (ba‘du) “yet” stands alone and is invariable with a final dammah.